

منظومة الأسرة أمام التحولات الراهنة: صمود أم تكيف؟

قراءة سوسيولوجية لأثار التغيرات الاجتماعية على الأسرة

The Family System Facing Current Transformations: Resilience or Adaptation?

A Sociological Reading of the Effects of Social Changes on the Family.

حيرش بغداد ليلي أمال¹،

¹ جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (الجزائر) leilaamel.hirechebaghdad@univ-mosta.dz

تاريخ النشر: 2025/12/12

تاريخ القبول: 2025/12/09

تاريخ الاستلام: 2025/04./21

ملخص:

إن التغيرات التي شهدها المجتمع الجزائري ولازال عرفت تطورات سريعة المنحني فعلها التطور التكنولوجي الهائل، والتدفق المعلوماتي الرهيب، كل ذلك كان له الأثر البالغ في رسم معالم جديدة لهذا المجتمع، أو تغيير البعض منها أو استبدالها بمعالم أخرى أكثر تناسبا و الظروف الراهنة . ولقد حدث أن مسّت هذه التغيرات أصعدة مختلفة ومجالات متنوعة، رمت بثقلها على البناء والنسق الاجتماعيين، وحتى على مستوى العادات والتقاليد وكل ما له علاقة بالثرات اللامادي لهذا المجتمع والذي هو الآخر عرف تطورا و تغيرا واضحا. وحتى على مستوى الأدوار لكلّ من الرجل والمرأة ومركزهما ومكانتهما، اجتماعيا أسريًا و وظيفيا . ولقد حاولنا من خلال هذه الدراسة تطويق أهمّ التغيرات الطارئة على الأسرة الجزائرية في مختلف مناحي الحياة

* المؤلف المرسل: حيرش بغداد ليلي أمال

Abstract:

Indeed, the changes that the Algerian society has witnessed and continues to experience have followed a rapidly evolving trajectory, accelerated by the immense technological advancements and the overwhelming flow of information. All of this has had a significant impact on shaping new features of this society, altering some of its existing characteristics, or replacing them with others more suited to current circumstances.

These transformations have permitted diverse levels and varied domains, placing considerable pressure on the social structure and fabric, extending even the customs, traditions, and intangible heritage of the society, which has itself undergone evident evolution and change. Furthermore, these shifts have impacted the roles, status, and social, familial, and professional of both men and women.

Through this study, we have endeavored to encompass the most significant changes affecting the Algerian family across various aspects of life.

Keywords: social changes; family; social structure; the roles.

1. مقدمة:

منذ بواكير التفكير الاجتماعي استطردت فكرة التغير جلّ المجتمعات والحضارات وشكلت على مر قرون مسألة جوهرية للعديد من الدراسات الفلسفية والاجتماعية، كما احتلت جزءا لا يستهان به في التراث الاجتماعي.

لأجلها نصّبت عدة نظريات وأخذت على عاتقها مسؤولية تحديد معنى مصطلح التغير على النحو الذي يرضي كل مرحلة تاريخية وكل حضارة من الحضارات، وتفنييد كل اعتقاد بأن الحياة ثابتة ومستقرة.

"إن التحديث يتخذ عبر سيرة التمايز صورة انتقال من مجتمع بسيط متجانس واجتماعي، إلى مجتمع متباين ومتعدد يشمل كافة المستويات" (سبيلا، 2010، ص 97)

ومع كل هذا كانت هناك آراء وأفكار متضادة حالت دون وضع إطار موحّد خاص بمجمل العوامل المؤثرة في التغير والداعمة لوجوده، ومردّد ذلك ارتباط حلّ هذه النظريات ببعض الدراسات المشحونة بالمعارف الامبريقية تارة، ولارتباطها أيضا بتمثلات وايدولوجيات منظريها وادعاءاتهم المتباينة تارة أخرى، والتي صعّبت فيما بعد وضع تعريف وحيد ودقيق للتغير. "وهذا التباين في البناء الاجتماعي من حيث القيم والوظائف، فإنه كذلك تغير في أنساق التفاعل والعلاقات الاجتماعية وأنماط السلوك والنشاط الإنساني، وهو سمة مميزة للمجتمعات الحديثة في حياتها الاجتماعية" (عبد الرحمان، 1999، ص304)

ولأن التغير سنة من السنن الكونية، وظاهرة عامة لدى جميع المجتمعات والأمم، فكان بديها أن يشمل مختلف الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والدينية إما بناء أو نسقا، يضيف تجديدا على حياة الأفراد والأمم.

"التغير الاجتماعي هو كل تغير يمسّ البناء الاجتماعي في القيم والوظائف والأدوار عبر الزمن، وقد يكون هذا التغير تقدما أو تخلّفا" (الدقس، 1996، ص19)

ولقد أحدثت الثورة التكنولوجية والرقمية تحويرات وتغييرات جمّة، طالت البناء الاجتماعي برمّته، ولم تستثن منه أحدا. لأن التكنولوجيا من أكثر مظاهر العصر الحديث تميّزا فكان منطقيا أن تستفرد بها جل الدراسات الآنية تحليلا وتنقيبا على مجمل الآثار والتداعيات التي يمكن أن تحدثها هذه الأخيرة سواء على النسق الأسري وهو حال دراستنا، أو على النسق القيمي أو مختلف بقية الأنساق والبنى الاجتماعية، والتي لا يمكن بأي حال من الأحوال التغافل عنها أو تمييزها عن غيرها، لا لشيء سوى لأن كل جزء من أجزاء النظم الاجتماعية إذا ما طاله التغير، فذلك مؤشر على أن هذا الأخير سيؤثر لا محالة في بقية النظم الأخرى، خاصة النظام الأسري كأكثر النظم الاجتماعية تأثرا بمجمل التغيرات الراهنة، والذي يترك مخلفات تطلّ جلّ البنى الاجتماعية، ويستعقب تبعات وأبعاد يصعب تطويقها أو تأطيرها.

2. بنية الأسرة في ظل التحولات الاجتماعية:

إن الأسرة الجزائرية ومنذ عهود قديمة عرفت ولا تزال جملة من التطورات والتغيرات لكن الملاحظ اليوم أن حتى طبيعة هذه التطورات لم تعد شبيهة بالوتيرة الماضية التي كان يسير عليها المجتمع الجزائري غداة الاستقلال أو حتى بعده بعقود. ذلك لأن طبيعة هذه التغيرات لم تعد كما كانت عليه في السّابق.

فالأُسرة المتكونة من زوجين وعدد ضئيل من الأطفال في بيت مستقل ومنفرد تملّكي أو إيجاري عادت السّمة الغالبة على طبيعة الأُسَر النووية الحالية ذلك أن " الأُسرة النووية تتلاءم مع جوّ المجتمع الصّناعي أكثر من الأُسرة الممتدة "(الحسن، 2005، ص260)

لقد أتاحَت استقلالية الوظيفة والعمل الانفرادي للزّوجين (بعيدا عن العائلة الكبيرة) وحتى عمالة المرأة (الزّوجة) سواء المتعلمة أو غير المتعلّمة، أتاحَت الفرصة وشجّعت الزّوجين على الاستقلالية من ناحية السّكن الانفرادي (حتى وإن كان داخل البيت العائلي الكبير) أو من ناحية تسيير شؤون هذا البيت من جميع النّواحي، أو حتى من حيث اتخاذ القرارات خاصّة المصيرية منها، والاكتفاء بتسيير البيت وفق ما يتفق عليه الطّرفان أي الزّوجان. ولكن ثمة عوامل عديدة ساعدت على الانفراد في سكن مستقلّ، من بينها عوامل اعلامية، تكنولوجية، وعوامل تجارية واقتصادية وعوامل مادّية وأخرى اجتماعية، كلّها عملت على تسهيل وجود هذا النوع من السّكنات.

فالإعلام هذه السلطة الرابعة كما يصطلح أهل الاختصاص على تسميته كذلك يمارس نوعا من الضغط، ويساهم بشكل أو بآخر في توعية الأفراد والمواطنين وتحسيسهم بأهميّة بعض الأمور المختلفة كضرورة استقلالية الزّوجين ولو ضمّنيا عن العائلة الكبيرة، خاصة في مجال اتّخاذ القرارات المصيرية، ويصوّر لهما نمط حياة زوجيّة معيّنة، وبمقاييس محدّدة تجعل كلا الطّرفان يقبلان عليها ويسعيان فعلا لإحلالها.

كما أن للعوامل التجارية والاقتصاديّة دخلا كبيرا في بلورة مثل هذه الأفكار والتشجيع عليها، فعندما يحاول الزّوج أو الزّوجة أو كلاهما معا تأسيس بيت، فإن القروض الاستهلاكية الممنوحة من طرف معظم البنوك ووكالات التمويل والادّخار والتّسهيلات المقدمة لذلك حتى من طرف المحلّات المختلفة والتي تمّ التّرويج لها إعلاميا وبصفة متكرّرة ودائمة، كل هذه الأمور من شأنها زيادة رغبة الزّوجين في تحمّل مسؤولياتهما منذ البداية، وعدم الاتكال على الأهل (من كلا الطرفين) في مثل هذه الأمور المماثلة .

وهناك أيضا العوامل الماديّة التي ما فتئت تلعب دورا جسيما في عمليّة استقلال الزّوجين من حيث المسكن، فبالإضافة إلى جانب عمل الزّوج أصبحت الزّوجة العاملة وفي الكثير من الأحيان (المتعلمة أو حتى غيرها) تساهم في نفقات البيت جنبا إلى جنب الزّوج، وذلك كلّه في سبيل

تأسيس أسرة تعتمد على مداخل كلا الزوجين اللذان يحاولان جاهدان (خاصة مع الغلاء المعيشي) توفير جلّ المستلزمات الضرورية للبيت والأولاد من حيث المأكل والملبس، مصاريف التعليم والعلاج وغيرها من المصاريف.

حتى أن نمط العيش هو الآخر اختلف مع مرور الزمن، فكما هو واضح للعيان أن العالم أضحى قرية صغيرة، ونافذة تطلّ مختلف الشعوب والأمم بثقافتهم وعاداتهم وتطوراتهم كل هذه الأمور وغيرها ساهمت وبشكل كبير (خاصة مع التدفق الإعلامي) في رفع المستوى المعيشي وحتى نمط العيش، فالمجاعة والتطلع إلى الغير، والرغبة في تقليد الآخر واقتناء أكبر قدر من الوسائل والمعدات والأدوات المساعدة على العيش الكريم والرغد، كلها متطلبات مسجدة يستعين بها الزوجان لبلوغ أكبر قدر من المواءمة والاستقرار على اختلاف أنواعه.

3- منظومة الزواج أمام التغيرات الاجتماعية:

"إن اختيار رجلا أم امرأة القرين المناسب له للزواج سلوك اجتماعي لا يتحدّد فقط برغبات الشخص ولا عن طريق الصدفة وإنما وفق معايير مجتمعه ولكل مجتمع نظمه وأساليبه الخاصة به والتي تتحكم في عملية الاختيار طبقا للقيم والعادات والتقاليد والأنماط التي تسود ذلك المجتمع، وعملية الاختيار هذه قابلة للتطور والتغير مع التغير الثقافي والاجتماعي (المسلماني، 1977، ص39)

. ولكن بالأمس القريب كان الزواج في المجتمع الجزائري يحتكم إلى كبار العائلة الذين يأخذون على عاتقهم أمر تزويج أبنائهم وحتى بناتهم. لكن مع وجود العولة وتطور المجتمع من نواح عديدة ظهرت مستجدات في طريقة الزواج واختيار شريك الحياة، فأصبح كل من الرجل والمرأة يفضلان نمط الزواج الخارجي والحرّ أو بالاختيار الشخصي "وأصبح الميل العاطفي لشخص نحو شخص آخر عند مختلف الجنسين دافعا للزواج" (وسركيس، دون سنة، ص20-21)

كما أنه " عندما تدخل الأسرة في المدينة يتحرر من الضغوط وتتغير العلاقات القرابية، فتسمح المدنية لأفرادها بالتخلي عن الالتزامات والضغوط والضوابط التقليدية، وتسمح لها بالاختيار" (guillaume, 1996, p86)

فبعدما ما كان الزواج يتم في حدود العائلة الواحدة وبإشراف كبارها من الرجال والنساء الذين كانوا يفضلون الزواج الداخلي من الأقارب أصبح الشباب الجزائري اليوم يفضل الزواج من خارج العائلة الواحدة وحتى بالنسبة للنساء الأمر سيان، مبررين أن " الزّواج لا يحدث دون أن تسبقه فترة من التعارف تتيح لكل من الفتى والفتاة التّعرف على الشخص الذي سوف يصبح شريك المستقبل وإن اختلف أسلوب هذا التعارف تبعاً للطبقة الاجتماعية التي ينتميان إليها" (الخولي، 1984، ص176)

فالاختلاط الكائن بين الجنسين داخل مقاعد الدّراسة وحتى في مقرّات الوظيفة والعمل وكذا التفتّح على وسائل التواصل الاجتماعي سهّل وكثّف من عملية الاختيار الشخصي، وأصبح يتيح لكلا الجنسين فرصة التّلاقي والتحدّث والتّعرف على الطرف الآخر قبل الزواج، بل وحتى الاتّفاق على معظم الشروط التي يقرّها كل من الرجل والمرأة في سبيل الارتباط وتكوين أسرة. لكن يجب التنويه أن هذا النوع من الزيجات متداول ومتعامل به بصفة كبيرة في المجتمعات الحضرية أكثر منها في المجتمعات الريفية التي لا تزال تحتكم إلى قرارات العائلة الكبيرة في معظم الأحيان، والتي تفضل الزواج الداخلي بالدّرجة الأولى أكثر من الأنواع الأخرى. ولكن هذا النوع من الزيجات (أي الاختيار الشخصي) رغم انتشاره وتبنيّه من طرف العديد من الأزواج ورغم ما يوقّره من تباث واستقرار في العلاقة الزوجية مستقبلاً، إنّهُ لا يخلو من الكثير من المشاكل التي بات يتخبط فيها بعض الأزواج.

فارتفاع معدّلات الطلاق والسّرعة التي يحدث بها هذا الأخير أصبحت ناقوس خطر ينبئ بوجود خلل كبير في منظومة الزواج.

هذه الأخيرة التي شهدت مخالفات ومبالغات خطيرة قد تلقي بظلالها على المرأة (الزّوجة والأم) وعلى الأبناء وحتى على استقرار الأسر والعائلات، وتزيد من حدّة تفاقم المشكلات الاجتماعية المعاصرة: كالعنف والطلاق والتشرّد

ولا بدّ للإشارة أيضاً أن معدّلات سنّ الزّواج وكذا معدّلات الخصوبة قد شهدت تغييرات ملحوظة، فبعدما كان الطرفان يرتبطان في سنّ مبكرة، أصبح يتمّ ذلك في سنّ متأخرة مقارنة مع ما كان موجود آنفا وذلك مردّه إلى عوامل عديدة، خاصة الاقتصادية منها بالدّرجة

الأولى، فالغلاء المعيشي الراهن، وقلة فرص التحاق الشباب بالمناصب الوظيفية، وصعوبة الحصول على منزل -إذا لم يكن مستحيلا- مع ارتفاع تكاليف الزواج والشروط المبالغ فيها كل هذه العوامل وغيرها عملت وبشكل كبير في تأخير سن الزواج، وفي بعض الأحيان في عزوف الشباب عن الزواج لعدم قدرتهم على ذلك، وخوفهم من عدم القدرة على تحمّل المسؤولية فيما بعد على أكمل وجه.

وهذا العزوف في حدّ ذاته تنجّر عنه مشكلات أخرى منها ارتفاع معدلات الخصوبة عند الفتيات وارتفاع نسبة العنوسة بشكل ينذر بالقلق على منظومة الزواج. وهذا الأمر بدوره يسمح بتفشي ظواهر اجتماعية أخرى تهدّد استقرار الحياة الاجتماعية وتخلق في الفرد حالة من الاختلال العاطفي والنّفسي (لكلا الجنسين) ينعكس على مستقبل أدوارهما في الحياة وبشكل كبير.

4- عمالة المرأة:

إن المتعارف عليه في المجتمع الجزائري وإلى وقت غير بعيد أن الرجل (الزوج) هو من يقوم بإعالة زوجته وأولاده وأسرته، ويشرف شخصيا على تغطية معظم نفقات البيت من مصاريف المأكل والملبس والتعليم والصحة وغيرها من المصاريف المتعارف عليها اجتماعيا، ولكن سرعان ما شهد دور الرجل الزوج تغيرات مسّت طبيعة وتفكيره حول مسؤولية البيت والزوجة والأطفال وجعلته بمرور الوقت يفقد أو يتغافل عن الكثير من مسؤولياته. ولعلّ أكثر عامل ساهم في تعزيز هذا التغافل هو عمالة المرأة الزوجة لهذا " فقد رافق ظاهرة دخول المرأة ميدان العمل مجموعة من الظواهر الفرعية أهمّها: التغيّر النوعي في اهتمامات بعض النساء العاملات وطموحاتهنّ واحتياجاتهنّ ومهارتهنّ. فلم تعد مواضيع الطبخ والملبس وتربية الأبناء تشكل حدود عالم اهتمامات هذا النموذج من النساء، كما ان طموحاتهنّ بدأت تتجاوز إطار الزواج والإنجاب وتطلب التّقدير الاجتماعي والقبول" (حطب، 1987، ص162)

"فالتعليم يرفع مستوى الوعي الاجتماعي بخلق الاتجاهات الإيجابية وسيادة العادات والتقاليد العصرية ، مما يعضد البرامج والأنشطة التنموية، ويسرّع في عملية التغير الاجتماعي"(زوزو، 2008، ص97)

فالمرأة العاملة اليوم أهلتها ظروف كثيرة ومواقف عديدة لشغل دورين معا أو أكثر، وفي بعض الأحيان حتى في وجود المعيل الحقيقي للأسرة (الأب، الزوج، الأخ) . فتدرج المرأة في التعليم بمختلف أطواره رغبة منها في تحقيق مكانة اجتماعية لائقة ورغبتها في التوظيف حتى في القطاعات التي كانت بالأمس القريب حكرا على الرجل، وحصولها على راتب نظير وظيفتها، وكذا تحقيقها لاستقلالية مادية بعيدة عن الرجل، كل هذه الأمور وغيرها ساهمت بشكل أو بآخر في تقلد المرأة (خاصة الزوجة) لوظيفة الانفاق على البيت الزوجي بوجود زوجها أو بدونه، والمساهمة في تغطية مصاريف عديدة تخص الأولاد والبيت، ومحاولة تحسين الوضع المادي للبيت، خاصة مع الغلاء المعيشي الرأهن من ناحية، وتعذر الحصول على سكن بسهولة، وتنامي ظاهرة إيجار السكنات وبمبالغ كبيرة. ومن ناحية أخرى مكنتها من اتخاذ قرارات عديدة تخص البيت والأولاد وجعلت لها في ذلك صلاحيات كبيرة لم تكن كذلك في العقود الماضية، أين كانت مطالبة بالبقاء في البيت ويتم تلبية طلباتها أو بعضها من قبل زوجها.

ولكن في الوقت الذي خوّلت الاستقلالية المادية للمرأة دورا ومركزا اجتماعيين داخل وخارج الأسرة، نجد أن هذا الأمر كان له تبعاته الاجتماعية على هذه المرأة العاملة (خاصة الزوجة) فاهتمامها بأبسط الأمور والمتطلبات الخاصة ببيتها وإشرافها شخصا على ذلك، ساهم في تنامي إتكالية الرجل (الزوج) عليها في أبسط الأمور وتنحيه وتخليه في بعض الأحيان عن أداء دوره على الوجه المطلوب، ويعدّ هذا واحدا من المشاكل الاجتماعية التي باتت تتخبط فيها المرأة العاملة.

حتى من الناحية النفسية عملت هذه المستجدات على تنامي ضغوط الممارسة ضد المرأة العاملة، لتجد نفسها وسط دوامة من المسؤوليات المتراكمة واللامتناهية في بعض الأحيان، أهلتها للعب أدوار عديدة في آن واحد إما راغبة أو مكروهة.

5- أدوار المرأة:

استطرادا للفكرة سابقة الذكر فإن أدوار المرأة هي الأخرى شهدت تطورات وتحويرات مختلفة وعديدة، كان لها الأثر الواضح في إحداث تغيرات عدّة.

فالدور حسب "لينتون هو مجموعة الأنماط الثقافية التي ترتبط بمركز معيّن، وبذلك تتضمن الاتجاهات والقيّم والسلوك التي يصفها المجتمع لكل فرد يحتل هذا المركز والدور الاجتماعي هو الجانب الديناميكي للمركز" (راشدان، 2005، ص81)

وتبعاً لذلك فإن المرأة اليوم خاصّة العاملة في المجتمع الجزائري سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة، مطلقة أو أرملة، بأطفال أو بدونهم أصبحت مطالبة بتأدية أدوار مختلفة في وقت واحد، خاصة الأم العاملة، فهي مطالبة بتحقيق متطلبات البيت المتكررة والمستمرّة، خاصّة في عدم وجود زوج عديم المسؤولية أو ليس له وظيفة أي عاطل عن العمل.

ومطالبة كذلك بالإنفاق على نفسها وعلى أولادها وحتى على زوجها، وإن لم تكن لها مسؤوليات ماديّة ولم تكن مطالبة بالإنفاق أو المساهمة مادياً في نفقات البيت فعليها مسؤوليات أخرى خاصة بوجود الأبناء والمتمدرسين على وجه الخصوص، فهي مطالبة بمرافقتهم دراسياً واجتماعياً ونفسياً، وإذا لم يكن لديها من يساعدها من أقاربها والجيران والأهل على تربية الأبناء ورعايتهم خاصة أثناء تواجدها في مكان العمل، فهذا الأمر سوف يزيد من تعقّد أدوارها، فتبقى حينها مطالبة بوضع الأطفال في دور الحضانة فترة غيابها عن البيت، أو الاستعانة بمن يعينها على ذلك، وعليها التفكير أيضاً في عملية التوفيق بين عملها وبين وظائفها المتراكمة في البيت من طبخ وتنظيف ورعاية وما إلى ذلك والمذاكرة للأطفال والإشراف على تربيتهم.

"إن الهجرة المتزايدة إلى المدن وما ترتب على ذلك من تحرر من الروابط التقليدية والقروية وما أتاحتها فرصة تعليم المرأة وخروجها للعمل كلّ هذا انعكس بدوره على الأدوار وما حققته المرأة من استقلال اقتصادي وما صاحبه من استقلال عاطفي واجتماعي" (بيومي، 2003، ص215-216)

إن الارتقاء من حيث المكانة والدور بالنسبة للمرأة العاملة ليس بالهين أو السهل، يتطلب منها تكثيف الجهود وتنظيم محكم وتفكير دائم قد يستنزف قواها ويساهم في زيادة الضّغط عليها نفسياً واجتماعياً، خاصة إذا أرادت الحفاظ والتوفيق بين الأسرة والعمل.

إن المجتمع الجزائري ما ينفكّ يعرف مفارقات عديدة وكثيرة، ففي الوقت الذي يشجّع فيه الفتيات على الإقبال على التعليم والعمل والانفتاح على العالم الخارجي ومطالبتها بحسن التوفيق بين عملها وبيتها نج أن دور الرجل يبقى قارًا ولا يعرف تغييرا كبيرا، ويزيد من أنانيته ورغبته في التملّك وقلة مشاركته للمرأة في تبني أو تقمص البعض من أدوارها المتراكمة والمتعددة.

ولقد عبّر عن ذلك زهير حطب وعباس مكي بأن "تعطيل الطّاقة المخزونة يؤدي إلى الإغراق في حالة التخلف الاجتماعي، بينما يساعد إطلاقها في دفع عمليات التنمية" (حطب، 1987، ص5)

6- تربية الأبناء في ظل التغيرات الاجتماعية:

لما كانت " التنشئة الاجتماعية هي القاعدة الأساسية للضبط الاجتماعي، والضبط الاجتماعي يعتبر الآلية الحيوية للتنشئة" (العمر، 2006، ص126)

لذلك أوكلت مهمة تربية الأبناء وتنشئتهم إلى الأسرة بالدرجة الأولى منذ الأزل، كونها أول ملاذ يستقبل فيه الطفل، وفيه يتعلّم كل مبادئ الحياة وقواعدها العامّة، وبوجود موجة التغيرات والتحوّلات المختلفة، ومع تعقّد الأمور وتفاقم حجم وطبيعة المشكلات الاجتماعية المتنوعة والمتعدّدة، بات لزاما على القائم على تربية الأبناء سواء الوالدين أو الأمّ بحدّا أو الأب بحدّا (خاصة في حالة الطلاق أو الترمّل) مضاعفة الجهود وتكثيف المحاولات لضمان تربية سويّة للأطفال بعيدا عن الضغوطات والمستجدات الكثيرة.

إن الإشراف على تعليم الأطفال وتربيتهم وتقديم النّصح لهم والإرشاد والتوجيه، أصبحت مطالب ضرورية تملّحها ظروف الحياة وطبيعتها.

فالحياة بتناقضاتها أصبحت تدعو الوالدين إلى تكثيف جهودهم في سبيل تقديم رعاية شاملة للأبناء خاصة مع تنامي الكثير من المشكلات والقضايا الاجتماعية المختلفة وتفاقمها من حيث طبيعتها وبنيتها عما كان متعارف عليها سابقا.

فضمان التعليم النوعي والجيد للأطفال مثلا هو واحد من القضايا التي باتت تشغل الرّأي العام قبل الخاص، فما بالك بالأولياء، ومع تنامي المستوى التعليمي وكثرة البرامج والمواد وكذا المقررات الدراسية وصعوبتها في الكثير من الأحيان، ما ألزم الأولياء على متابعة أبنائهم مادّة بمادّة وطور بطور، وفي بعض الأحيان يتطلب الأمر توفير دروس خصوصية تدعيمية

للأبناء وبمبالغ باهضة، تزيد من حدة وتفاقم المسؤوليات والأدوار لكل من الرجل والمرأة أو الأب أو الأم.

حتى طبيعة المستوى المعيشي الحالي باتت تلعب دورا كبيرا في احداث فوارق كثيرة. فهناك رغبة كبيرة من طرف الوالدين لتوفير نمط حياتي مستقر وهادئ، ويحوز على معظم المتطلبات التي يحتاجها الأطفال من ملابس ومأكل ورعاية صحية عالية وتعليم نموذجي، وبات الاهتمام أيضا بالجانب النفسي لهؤلاء الأطفال واضحا من حيث الاهتمام بإعطائهم مساحة أوفر من المتعة والتنزه واللعب والعمل على صرف الطاقة الزائدة في أنشطة متنوعة ومفيدة وغيرها من الأمور المماثلة، وذلك كله في سبيل تقديم جلّ الشروط المؤهلة لتكوين فرد سوي ونافع للمجتمع.

7- المسنون والتحولات الاجتماعية:

بالرغم من كل الامتيازات التي جلبتها التحولات الاجتماعية لمختلف الفئات والشرائح المجتمعية من تطوير التعليم والرعاية الصحية والترفيه والترشيد وما إلى ذلك، إلا أن فئة المسنين لم تحظ بالأهمية القصوى إلا في الدول الصناعية مثل سويسرا خاصة التي تحتكم إلى آليات متطورة وكفاءات عالية مهتمة بشؤون هذه الفئة من رعاية نفسية وجسدية ومعنوية.

والمسنّ هو الآخر لم يسلم من تبعات هذه التغيرات التي ساهمت في انحسار علاقاته الاجتماعية، وفي إضعاف وتراجع مكانته بسبب إنشغال المقربين منه بأولويات الحياة وتراكمتها، وخاصة مع تنامي دور المرأة العاملة ومسؤولياتها المتزايدة، فضلا على استقلال الأبناء في السكنات وابتعادهم عن السكن الأصلي الخاص بالوالدين وعدم اهتمامهم بهذا المسن. لقد أثرت موجة التغيرات والتطورات المتسارعة في الكثير من المقومات التربوية والأخلاقية عما كانت عليه آنفا من وحدة وترابط وتماسك، وبات ينظر إلى المسنّ من زاوية ضيقة وكثيرا ما يعتبر عالة وعيئا على غيره بدليل كثرة مراكز الشيخوخة وإقدام بعض الأبناء بإدخال أحد والديهم إلى هذه المراكز والاكتفاء بزيارتهم كلما استدعت الضرورة لذلك.

إن تسارع وثيرة التغير التكنولوجي والتي لا يحسنها الكثير من المسنين تجعلهم يفقدون الثقة في أنفسهم وفيمن حولهم ويلجؤون تدريجيا نحو العزلة الاجتماعية ونحو رفض كل ما هو جديد لجعله والخوف من حيثياته ومحاولة الاستبقاء على كل ما هو قديم وتقليدي، كل هذه

الأمر وغيرها تساهم في تقلص أدوار المسنين أسريا واجتماعيا، خاصة إذا ترافق ذلك مع قلة أو انعدام الفضاءات الخاصة بهذه الفئة. زد على ذلك العنف الممارس عليهم من طرف الأبناء أو الأقارب والابتعاد عن القيم الأخلاقية الداعمة لاحترام هؤلاء المسنين وتقديرهم ورعايتهم يجعل منهم أكثر عرضة للأمراض وللإكتئاب والاقصاءات الاجتماعية التي تعجّل لا محالة بموتهم أو الدخول في نوبات ألم فظيعة يصعب الخروج منها.

8- تطلعات جديدة:

لقد ظهرت مؤخرا في المجتمع الجزائري وعند الجنسين ولكن تحديدا عند النساء رغبات وتطلعات وآمال جديدة تسعى جاهدة لتحقيقها على أرضية الواقع، منها ما يتعلق بالطموحات العلمية أو حتى العملية " فالمرأة حين تعي موقع القوة الذي تعتقد فيه نتيجة ممارستها لعمل يدّر على الأسرة دخلا تتمكن من المباشرة والدّخول بمساومات حول طبيعة الدّور المطلوب منها داخل الأسرة وخارجها" (حطب، 1987، ص166)

وحتى طموحات أخرى جديدة عمّا كان متعارفا عليه في العقود الماضية، أو على الأقل ليس بنفس الوتيرة، كالرغبة في السّفر لاكتشاف العالم الخارجي وبمفردها، ولما لا العيش في إحدى الدّول التي تراها مناسبة لأفكارها وطموحاتها خاصة إذا كان مستواها التعليمي والمادي يخولان لها ذلك، إلى جانب تنامي ظاهرة البطالة واستفحال الغلاء المعيشي الرهيب وتعاضم نسب العانسات وقلة فرص الزواج... أو رغبة في التطلّع لغد أفضل وتحقيقا لمكانة اجتماعية وماديّة لائقة.

وما هو ملاحظ أيضا تنامي فكرة استقلالية المرأة (على اختلاف حالتها المدنية) ماديا ومعنويا، حتى من ناحية تقلّد الوظائف التي كانت حكرًا على الرّجال إلى وقت قريب، والرغبة في امتلاك سكن شخصي بعيد عن الرجل وحتى العيش بمفردها، وكذا رغبتها في امتلاك معدّات ووسائل وآلات تكنولوجية تسهّل لها أمور عديدة كتوفير المعدّات الكهربومنزلية المتطورة والمساعدة في ربح الوقت وتوفير الجهد وهو ما يصطلح على تسميته بالتحديث.

هذا الأخير "التحديث هو انتقال المجتمعات التقليدية والبسيطة إلى الاستعانة بنماذج التكنولوجيا والآلية وما يتبع ذلك من تغيرات في التنظيمات الاجتماعية والبيئة الثقافية" (ابراهيم، 2009، ص191)

كل هذه الأمور وغيرها سعت ولا تزال المرأة إلى إحلالها وتمكينها لتسهيل وتذليل صعوبات الحياة، إلى جانب الرغبة في الحصول على سيّارة خاصة تساعد في تنقلاتها، وتختصر عليها المسافات وتستعين بها لقضاء عدّة أمور ومصالح.

فضلا على رغبتها في اكتساب مهارات جديدة تعينها على تعلّم حرفة معينة تؤهلها لتحسين مستواها المادّي، أو ممارستها لهوايات مختلفة وإتقان لغات معينة كلها في سبيل الإحساس بالحرية، والتعوّد على اتخاذ القرارات الشخصية دون ضغط أو إكراه.

إهتمامها بنفسها ولياقتها البدنية من خلال إقبالها على نوادي الرياضة المختلفة والاهتمام بجمال بشرتها وشعرها وهندامها وأكلها وكلّ ما له علاقة بحياتها الشخصية، كل هذه الاهتمامات وغيرها، والتي ساهمت عدّة عوامل في بلورتها، خاصة الجانب التكنولوجي ووجود وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها، عملت على فتح آفاق جديدة للمرأة، وعزّزت من ثقّتها بنفسها وبإمكانياتها، لم تكن لتبلغها لولا استقلالها المادّي والاجتماعي، ومكانتها التي حقّقتها داخل المجتمع الذي تنتمي إليه وتحديّها لمختلف الظروف التي واجهتها، ودرءا لما قد تواجهه مستقبلا.

9- تداعيات التغير التكنولوجي على الأسرة:

1.9 الإنترنت والفردانية:

بقدوم الإنترنت الذي حمل معه معالم حضارية كثيرة، منها ما يلائم طبيعة الأسر وقيمها ومنها ما يخالفها، فأصبحت هذه الأسر تستقبل تحديًا من نوع آخر، زرع روح الفردانية في نفسية كل فرد من أفرادها، ليصبح لكل عضو منها عالمه الافتراضي الخاص به، يعيشه مع أناس افتراضيون لهم معايير مختلفة في مجملها عما تم ترسيخه في ذهنية هؤلاء الأفراد، بالإنترنت في كل وقت وحين، ما زرع مظاهر أخرى على مستوى العلاقات الاجتماعية كضعف التواصل بين أفراد الأسرة الواحدة حتى وإن تواجدوا في مكان واحد وأحدث تباينا فارقا بين الأجيال بسبب اختلاف مكونات الثقافة لكل جيل، وتحول العلاقات الاجتماعية إلى علاقات عابرة وسريعة بين أفراد الأسرة الواحدة، ما يضعف الاتصال والحوار وتغيرت التمثيلات القبلية لمعالم الأسرة البسيطة من أسرة يلتف أفرادها حول شاشات التلفاز إلى أجهزة ذكية تملأ الغرف وأكفّ الأفراد وهذا السلوك يطور حالة من الانفصال السلسلة وغير الواعية عن الأسرة" (العباسي، 2010، ص16)

2.9 العلاقات المشبوهة والمحرمة:

ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة في تسهيل وجود علاقات عاطفية مشبوهة خارج إطار منظومة الزواج، تنبئ بوجود شرخ كبير في هذه المنظومة المقدسة اجتماعيا ودينيا، نمت معها جملة من المشكلات الاجتماعية ككثرة الخيانة الزوجية، وتنامي ظاهرة المثلية الجنسية بشكل ملفت للإنتباه، باتت تهدد استقرار الأسر والعوائل وتعمل على إعطاء صورة وتمثل خطير عن المفهوم الجديد للأسر عند الأطفال والناشئة. فالتماسك الأسري والعفة الزوجية ومثل هذه المفاهيم المتأصلة، أصبحت بفعل تقنيات التواصل الحديثة مهددة في عالم كله متحامل على طبيعة الأسرة ومقوماتها الميالة للفطرة السليمة.

10-الخاتمة:

في ظل الجدل القائم حول طبيعة التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية وما استقدمته من منافع وإيجابيات للبشرية جمعاء، وبين التداعيات والمخلفات التي استحدثتها هذه الأخيرة، تظل الأسرة من أكثر النظم الاجتماعية التي تعزى إليها أصابع الاتهام في بلورة هذه التحولات وتعزيزها، ما دامت هي القائمة الأول على تنشئة الأفراد وتلقينهم مبادئ وأبجديات الحياة، وكذا أصولها ومقوماتها .

غير أن متغير التحول الاجتماعي والتكنولوجي لا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبارهما السبب الرئيسي في كل ما يقع من تبعات، وإنما هناك عوامل أخرى عديدة متداخلة فيما بينها تصنع التباين، ويمكن أن تصنع الفارق لو تم استغلال كل هذه التحويرات على اختلاف أنواعها لصالح الفرد والبشرية عامة ، بما يتناسب ومقومات كل مجتمع من المجتمعات ولا بدّ من تظافر جهود عديدة للاستبقاء على مظاهر التغير العقلاني والانتفاع بكل ما هو جديد لا يحمل في طياته الخزي والخذلان، والعمل استحداث أنظمة دفاعية وآلية وبشرية للحد من تبعات هذه التغيرات على الأسر والأفراد، بل وتمكينهم من مواكبة هذه التطورات على النحو المطلوب، والذي يعينهم على حفظ كرامتهم وأمنهم الفكري والثقافي وكذا أهليتهم وهويتهم السويّة والمعتدلة.

11- التوصيات :

- دور الأسرة دور مهم وحيوي لا يمكن التنازل عنه تحت أي ظرف ، فعلى الأولياء والقائمين على تربية النشئ التمكن من فتح قنوات للحوار الهادئ والبناء مع زيادة فرص التلاقي والتواصل بشكل سلس يحدّ ويقلل من فترات انتقال الأبناء إلى عوالمهم الافتراضية قدر الإمكان.

-تظافر مؤسسات التنشئة الاجتماعية للحدّ من أخطار وسائل التواصل الاجتماعي مع ترشيد استعمالها لدى الناشئة.

- الالتفاف إلى اهتمامات المرأة والطفل وأخذها بعين الاعتبار، ومحاولة تنمية وصقل مختلف المواهب الإبداعية وتوجيهها توجيها بناءا.

-إعادة توزيع الأدوار بين كل الفاعلين الاجتماعيين كل من موقعه ومن مؤهلاته ومن مركزه(الأولياء، الأطفال، المدرسين، العمال...) ومع ما يتناسب مع طبيعة كل فاعل، لضمان أكبر قدر من التوازن الاجتماعي.

- الاهتمام بالفئات الهشة والعمل على دمجها لا أسريًا واجتماعيًا وإقتصاديًا.

- ضرورة العودة إلى المرجعية الدينية الوسطية المعتدلة التي تضمن استقرار الأسر والأفراد وتبث المجتمعات وحمايتها من الانفلات أو الوقوع في الانزلاقات كيفما كان نوعها.

- محاولة دمج الأطفال في نشاطات جسدية وفكرية بعيدة عن المؤثرات البصرية والتقنية، تفسح لهم المجال للتعبير والتنفيس وتضيّق عليهم فرصة الاقبال على مواقع التواصل الاجتماعي قدر المستطاع.

12-قائمة المراجع:

1-إبراهيم محمد عباس،(2009)، التحديث والتغير دراسة في مكونات القيم الثقافية ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

2- بيومي محمد أحمد،ناصر عفاف عبد العليم،(2003)، علم الاجتماع العائلي، ط1، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

3- الخولي سناء،(1984)، الأسرة والحياة العائلية، بيروت، دار النهضة العربية

4-رشدان عبد الله الزاهي، (2005)، التربية والتنشئة الاجتماعية، عمان، دار وائل للنشر

- 5- الدقس محمد،(1996)، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن
 - 6- زوزو رشيد،(2008)، أطروحة دكتوراه في علم اجتماع التنمية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر
 - 7- سبيلا محمد، (2010)، في تحولات المجتمع المغربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب
 - 8- عبد الرحمان عبد الله محمد،(1999)، علم الاجتماع النشأة والتطور، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر
 - 9- العمر معن خليل،(2006)، الضبط الاجتماعي، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع
 - 10- محمد الحسن إحسان،(2005)، علم الاجتماع العائلي، ط1، الأردن، دار وائل للنشر
 - 11- المسلماني مصطفى، (1977)، الزواج والأسرة، القاهرة، المطبعة الفخرية
 - 12- مكي عباس، حطب زهير(1987)، الطاقات النسائية العربية، ط1، بيروت، معهد الانماء العربي
 - 13- وسركيس أحمد عدل،(دت)، الزواج وتطور المجتمع، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
- المراجع باللغة الفرنسية:

1- Marie Joelle Guillaume(1996), La Famille lieu de vie,Bayard édition,Paris